يوم حطين
اليوم الفاصل بين المسلمين والصليبيين

. . احمد عبد العزيز محمود

كلية الآداب -جامعة صلاح الدين

المقدمة

لقد تقدم الجيش الصليبي من عكا إلى صفورية وعسكر بها يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الثاني (هـ/ يوليو)، وكان موقعاً ممتازاً يكثر به الماء والعشب. وفي اليوم نفسه وصلت الرسل من طبرية طالبة النجدة، فعقد الملك جاي لوزيجنان الصليبي مجلسا للحرب ردد فيه ريموند اقتراحه بعدم التقدم إلى طبرية، وذكر أنه يفضل أن تضيع مدينة بدلا من أن تضيع المملكة، واقتنع الحاضرون لبعض الوقت بوجهة نظره، ولكن جيرارد ذهب إلى الملك في خيمته وأقنعه بالتقدم لأنقاذ طبرية فأعلن الملك أن الجيش سيتحرك في الصباح لنجدة المدينة.

علم صلاح الدين بتحرك الجيش الصليبي وبالطريق الذي يسلكه من صفورية إلى طبرية. فتحرك صلاح الدين بقواته عبر التلال حتى بلغ حطين، حيث يبدأ الطريق في الانحدار نحو بحيرة طبرية، وعند حطين وهي قرية صغيرة كانت المياه

غزيرة والاعشاب متوافرة أرسل صلاح الدين إلى القوات المقاتلة في طبرية للحاق به عند حطين عدا من دعت إليهم الحاجة لحصار قلعة طبرية.

رحل الجيش الصليبي من صفورية في اليوم التالي، وكان يوما شديد الحرارة، فشق طريقه بصعوبة فوق التلال الجرداء. وكان يتولى قيادة مقدمة الجيش الصليبي ريموند أمير طرابلس، وتولى قيادة القلب الملك جاي لوزيجنان، وقاد المؤخرة رينالدودي شاتيون وفرسان الداوية والاسبتارية، وعانى الصليبيون ودوابهم من شدة الحرارة وصعوبة الطريق. وفي الوقت نفسه هاجم الجيش الاسلامي القوات الصليبية وهي في هذه الحالة وأمطروها وابلا من السهام، ولم يبادر الصليبيون بالهجوم على القوات الاسلامية حتى وصلوا إلى أرض قرية تعرف باسم اللوبيا وكأنهم يساقون إلى الموت.

وفي هذا الموقع توقف الصليبيون، وكانت هناك هضبة تشرف على حطين، وبات المسلمون والصليبيون على استعداد للمعركة المقبلة، كان يوماً عصيباً على الصليبيين ومتاعب حيث أشعلوا النار في الأعشاب التي تحيط بموقع الصليبيين، وكانت الرياح باتجاه الصليبيين فحملت حر النار والدخان إليهم، فاجتمع عليهم العطش وحر الصيف وحر النار والدخان وشدة القتال، وان العطش اشتد بهم، وكانوا يتمنون الخلاص مما هم فيه، ولما فشلوا من مقاومة المسلمين نزلوا عن دوابهم وجلسوا على الأرض، فصعد المسلمون إليهم ودخلوا خيمة الملك وأسروهم عن بكرة أبيهم وفيهم الملك جاي لوزيجنان وأخوه عموري، رينالدودي شاتيون (أرناط) وعدد كبير من النبلاء، وتم أيضا أسر جماعة من الداوية والاسبتارية، وبعد المعركة كان من يرى القتلى، لايظن أن هناك أسرى، ومن يرى الأسرى، لايظن أن هناك قتلى،

وكانت أكبر كارثة حلت بالصليبيين منذ قدومهم إلى الأراضي المقدسة، حتى عدها بعض المؤرخين أنها بداية النهاية للحروب الصليبية.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية قبل معركة حطين

كانت سنة (هـ/) سنة حاسمة على المستوى السياسي والعسكري لكل من صلاح الدين الأيوبي، وما يمثله على الجبهة العربية الإسلامية، وخصومه السياسيين من بقايا البيت الزنكي من جهة، وأعدائه الصليبيين من جهة أخرى( ).

ففي تلك السنة كانت معظم مناطق مصر والشام والعراق قد دخلت في نوع ما من الوحدة السياسية باستثناء الموصل وحلب. ومن ناحية أخرى كان صلاح الدين قد مد نفوذه إلى بلاد المغرب واليمن( ). إلى جانب سيادته المباشرة على مصر والشام. كما أنه قد رتب نوعا من الصلح مع الإمبراطور البيزنطي. وبقي على صلاح الدين أن يستكمل بناء الجبهة الإسلامية قبل الهجوم الحاسم على الصليبيين. وحاول الاستيلاء على حلب ولكنه غادرها بعد ثلاثة أيام، واستولى على الرها( ) والرقة( ) ونصيبين( )، ثم حاول أن يستولي على الموصل ولكن دونما نجاح( ).

في هذه الإثناء كان الأمير الصليبي (أرناط) يخطط لعملية خرقاء كانت تختمر في ذهنه منذ وقت طويل؛ فمضمونها الإغارة على قوافل التجارة الغنية المتجهة إلى مكة بل والهجوم على المدينة المنورة نفسها. وفي خريف سنة (هـ/) سار إلى أيلة على خليج العقبة. فاستولى عليها وقد كانت بأيدي المسلمين منذ سنة (هـ/)( ). ومن المناسب هنا أن نورد إحدى روايات ابن الاثير التي يشير فيها إلى قصد الفرنج بلاد الحجاز فأنشأ البرنس أرناط صاحب

الكرك سفنا وحملها على البر إلى بحر القلزم (بحر الأحمر)( ). وأركب فيها الرجال، وأوقف منها مركبين على حرزة قلعة القلزم( )، لمنع أهلها من استقاء الماء، وسارت البقية نحو عيذاب( ) فقتلوا وأسروا، وأحرقوا في بحر القلزم نحو ستة عشر مركبا، وأخذوا بعيذاب مركبا يأتي من جدة، وأخذوا مركبين فيهما بضائع جاءت من اليمن، وأخذوا أطعمة كثيرة من الساحل كانت معدة لميرة الحرمين( )، ولم يبق بينهم وبين المدينة النبوية سوى مسيرة يوم واحد، ومضوا إليها وقد جهز لهم الملك العادل، وهو يخلف السلطان بالقاهرة، الحاجب حسام الدين لؤلؤ على القلزم، فعمر مراكب بمصر والإسكندرية، وسار إلى أيلة، فظفر بمراكب الفرنج بحرقها وأسر من فيها، وسار إلى عيذاب، وتبع مراكب الفرنج، فواقع بها بعد أيام واستولى عليها، وأطلق من فيها من التجار المأسورين ورد عليهم ما أخذ منهم، وصعد البر، فركب خيل العرب حتى أدرك من فرمن الفرنج وأخذهم، فساق منهم إثنين إلى منى ونحرهما كما تنحر البدن وعاد إلى القاهرة بالأسرى في ذي الحجة فضرب أعناقهم ((عقوبة لمن رام إخافة أهل حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم، وعاد بالباقين إلى مصر، فقتلهم جميعا))( ).

هذه الحادثة الأليمة أثارت ثائرة المسلمين جميعا، بل أن خصوم صلاح الدين من بقايا البيت الزنكي ساء موقفهم السياسي كثيرا من جراء تحالفهم مع الفرنج الذين كشفوا أنهم لا يتورعون عن أي شئ. ومن ناحية أخرى، كان رد فعل الملك العادل أخي صلاح الدين ونائبه في مصر عنيفا بحسب النص الذي أوردناه وبحسب رواية المصادر التاريخية الأخرى، فقد هاجم الأسطول المصري الصليبيين وخاض ضد اسطولهم معركة بحرية ظافرة، وقد أسر سفينة نقل عسكرية (بسطة) والجمع

بسطات(بشطات) كلها لمدلول واحد، وهي مأخوذة من الاسبانية، والمعنى السفينة الكبيرة، وكانت تحمل أخشاباً وعدداً من الرجال أكثر من سبعين رجلاً( ).

ومضى صلاح الدين في محاولاته العسكرية والسياسية لتوحيد القوى الإسلامية في بلاد الشام، وهنا ينبغي أن نضع في اعتبارنا أن وعي صلاح الدين بالتهديد الذي يمثله الفرنج من ناحية، ومخاطر انقسام الصف الإسلامي من ناحية أخرى، قد تكون من خلال خبراته الأولى في مصر عندما جاءها في جيش عمه أسدالدين شيركوه( ).

ففي شهر المحرم سنة (هـ/يونيو) تسلم السلطان مدينة حلب باتفاقية صلح( )، وبهذا بدأت مرحلة جديدة وحاسمة في المواجهة بين المسلمين والفرنج( ).

بعد ترتيب الأوضاع في حلب عاد صلاح الدين إلى دمشق التي صارت قاعدة ملكه الذي امتد آنذاك من برقة غربا حتى الفرات شرقا، ويرى رنسيمان أنه على مدى القرنين السابقين لم يشهد التاريخ حاكما في مثل قوة صلاح الدين( ) وهذه حقيقة. إذ أن صلاح الدين كان يحكم مصر بمواردها الهائلة، كما ان دمشق وحلب المدينتين العظيمتين والمناطق التابعة لهما كانت تحت حكمه المباشر. ولم يبق غير الموصل خارج نطاق سيطرته، بيد ان المسافة بين حلب والموصل كانت مزروعة بالأتباع الإقطاعيين الذين كان يمكن للناصر صلاح الدين أن يعتمد عليهم. وكان حاكم الموصل يخشاه على حين كان السلطان السلجوقي في الأناضول يسعى إلى كسب صداقته. أما الامبراطورية البيزنطية فلم تعد تشكل خطرا على

المنطقة العربية لأنها تحولت بفعل الاحداث والمنازعات السياسية الداخلية إلى جسد عاجز( ).

ولم يبق سوى هؤلاء الدخلاء الذين أقاموا مستوطناتهم على الأرض العربية الاسلامية، وكان استمرار بقائهم عارا على أبناء هذه المنطقة. وبدأ صلاح الدين يعد العدة للمعركة الحاسمة ضد الفرنج( ).

بعد أن مكث الناصر صلاح الدين في دمشق مدة أسبوعين تقريبا، بدأ أعماله العسكرية ضد الصليبيين، فهاجم بيسان( ) وعددا من القلاع والحصون الصليبية. ثم سار إلى الكرك، حيث عدوه الكريه رينالد دي شاتيون(أرناط) ((...فنازله مدة ولم ينل منه غرضا...))( )، ويغلب على الظن أن صلاح الدين كان يريد بهذه المناوشة العسكرية أن يستعرض قوته لأغراض سياسية، ذلك أنه لم يكن ليقدم على الحرب الحاسمة طالما كانت إمارة الموصل القوية مصدر تهديد له. فقد كان صلاح الدين يدرك تمام الادراك حالة الضعف التي انشبت مخالبها في الكيان الصليبي، كما كان يدرك أن وحدة القوى السياسية والعسكرية في المنطقة العربية شرط جوهري للنصر في حرب كبرى. وكان في مناوشاته العسكرية ضد الصليبيين يضع تحقيق هذه الوحدة، أو العمل السياسي والعسكري المشترك على الأقل، نصب عينيه( ).

على أية حال، فان الناصر صلاح الدين عاد إلى الهجوم على حصن الكرك( ) الذي كان صاحبه المزعج(أرناط) من أكثر الصليبيين استفزازاً وإجراماً( ). وكان صلاح الدين يريد التخلص من هذا العدو المشاكس؛ إذ كان بوسع أرناط أن يقطع الطريق على القوافل بين مصر والشام طالما ظلت قلعة الكرك الحصينة تحت

سيطرته، كما أن التجربة أوضحت في الماضي أن لا يحترم المعاهدات. على أية حال، رحل السلطان من دمشق إلى الكرك وجاءته التعزيزات العسكرية من مصر في شهر ربيع الاخر سنة (هـ/تشرين الثاني) وعسكر أما اسوار الكرك( )

ويجدر بنا أن ننقل ماكتبه رنسيمان عن هذه المحاولة إذ قال: ((هاجم صلاح الدين المدينة في الحال وشق طريقه إلى الداخل بالقوة. ولم يستطع رينالد دي شايتون أن يفعل شيئا سوى الهرب إلى داخل القلعة بفضل بطولة واحد من فرسانه الذي تمكن بمفرده من الدفاع عن القنطرة التي تصل مابين البلدة والقلعة حتى أمكن تدميرها بعد عبوره، وفي استعراض للشجاعة المصطنعة استمرت احتفالات الزواج في القلعة. وبينما كانت قذائف الحجارة تتساقط على الأسوار، استمر الغناء والرقص داخل القلعة، وقامت أم العروس، بتجهيز عدة أطباق من وليمة العرس بنفسها وأرسلتها الى صلاح الدين، وردهو على ذلك بأن سأل عن البرج الذي يوجد به العروسان الشابان وأصدر أوامره بعدم قذفه. بيد أنه لم يتراخ في جهوده. فقد كانت منجنيقاته التسعة الضخمة في عمل مستمر، كما أن رجاله كادوا أن يردموا الخندق))( ).

ثم تقرر رفع الحصار عن الكرك عندما وردت الأخبار ((... عن اجتماع الفرنج..)). وجرت مناوشات عسكرية عند نابلس وجنين، ثم عاد صلاح الدين إلى دمشق وأخذ يواصل مناوراته العسكرية والسياسية استعدادا لحربه الفاصلة ضد الفرنج. وعلى الجبهة الأخرى كانت الانقسامات تنهش في الكيان الصليبي، كما كان المرض ينهش في جسد الملك بلدوين الرابع الواهن. ومات ملك بيت المقدس سنة (هـ/) مما جعل الفرقاء الصليبيين يوافقون على عقد معاهدة لمدة أربع سنوات مع الناصر صلاح الدين، وقد أتاحت هذه المعاهدة لصلاح الدين حرية المناورة ضد امارة الموصل( )، وقد تمكن صلاح الدين الأيوبي سنة

(هـ/) أن يضغط على الموصل حتى تقرر الصلح( ). وهكذا آتت مناورات صلاح الدين السياسية والعسكرية ضد امارة الموصل أُكلها، فقد كانت ترجمة ماحدث على أرض الواقع زيادة جيش صلاح الدين فورا بقوة عسكرية قوامها ستة الآف رجل( ).

وجاءت سنة (هـ/) تحمل نذر الحرب ودلائل الهزيمة للفرنج ففي مقابل وحدة المسلمين في المنطقة العربية انقسم الصليبيون مرة أخرى إلى معسكرين. فقد مات الملك المجذوم بلدوين الرابع في عام (هـ/)، وخلفه بلدوين الخامس الذي كان طفلا تحت وصاية ريمون دي سانجيل(كونت طرابلس). ثم مات الملك الطفل فجأة أواخر صيف سنة (هـ/)، وكان آخر ملك صليبي يدفن في كنيسة القيامة ببيت المقدس قبل تحريرها في العام التالي. وبمناورة بارعة تغلبت سيبيلا(ايزابيلا) ابنة عموري الأول، على ريمون وفريقه في (هـ/سبتمبر) فيما يشبه الانقلاب.

وصار زوجها، جاي لوزينان ملكا على مملكة بيت المقدس الصليبية( ) وهكذا كان هناك معسكران: الملكة والملك زوجها الذي كان وسيماً في خلقته دنيئاً في أخلاقه، ومعهما عدد من صقور الصليبيين الذين كانوا يرون أن الحرب والعنف هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن بها التعامل مع المسلمين. أما المعسكر الثاني فكان يضم عددا من الامراء يتزعمهم(ريمون سانجيل) كونت طرابلس، ويرون من أن من الأفضل مهادنة المسلمين مادامت الظروف لاتسمح بقتالهم( ). وقد اشار المقريزي إلى هذه الحقيقة بقوله في حوادث سنة (هـ/): ((..وقع الخلافة بين الفرنج بطرابلس، فالتجأ القومص الى السلطان، وصار يناصحه...)( ) كان هذا هو المشهد في الساحة السياسية قبل معركة حطين. ثم ظهر رينالد دى شايتون (أرناط)

بطيشه ونزقه المعهود لينضم إلى الصقور الصليبية الجائعة وانتهك هدنة السنوات الأربع بين صلاح الدين والفرنج، وبذلك أصبح لدى صلاح الدين مبرر قوي لبدء عملياته العسكرية ضد الصليبيين، وهكذا دقت طبول الحرب( ).

الفصل الثاني

معركة حطين

المبحث الأول

التحضيرات المعركة:

ففي يوم السبت وهو يوم النوروز السلطاني الخامس والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة (هـ) الموافق الرابع من شهر تموز سنة( )، احتدمت معركة بين جيوش السلطان صلاح الدين الأيوبي، وجيوش مملكة بيت المقدس وسائر الإمارات الصليبية بالشرق، عند مرتفع بركاني قديم، تقول الروايات التاريخية النصرانية انه الموضع الذي ألقى عنده المسيح عليه السلام موعظة الجبل( ).

واسم ذلك الموضع تل حطين، أو قرون حطين، وهو على مسافة خمسة أميال(كم) تقريبا من الشمال الغربي من مدينة طبرية، ويمر عليه المسافر العابر من طبرية إلى عكا، فلا يرى من ماضي مجده العالي سوى صمت صخري مستديم، تكسوه أشعة شمس لافحة، لاسيما، حين يكون الوقت من قيظ الصيف، في مثل يوم وقعة حطين( ).

بيد أن لذلك الصمت الحاضر مناقض من ضوضاء هادرة صاخبة ماضية، يسمعها قاريء المراجع التي تصف ذلك اليوم الذي سلك الصليبيون فيه مسلك

الباحث عن حتفه ، على قول المثل العربي، أو مسلك الحافر قبره بيده، على قول المثل الأوربي.

صلاح الدين يمهد لوحدة أسلامية جامعة ترفع السيطرة الصليبية عن فلسطين:

ولنرجع إلى الوراء بضع سنين قبل ذلك اليوم، حين كان صلاح الدين مشغولا باستكمال الجبهة الإسلامية المتحدة بالمشرق الإسلامي تحت رايته، تمهيدا لما عقد النية على النهوض به من مشروع جهادي عام ضد السيطرة الصليبية في فلسطين، وحين كان الصليبيون يفترصون أية فرصة لشن حملة حربية سريعة أو أخرى على المراكز الصلاحية، وصلاح الدين بدوره يعمل على مقابلة المثل بالمثل، ويناوش الصليبيين هنا وهناك( )، كلما سنحت له فرصه سانحة كافية لازعاج سلامتهم، وذلك بعد أن ضمنت له مهارته الدبلوماسية وسياسته الاقتصادية، نحو كل من الدولة البيزنطية والجمهوريات الايطالية، حيدت تلك الدول بصدد ماقام به من أعمال ضد الصليبيين( ).

أمراء مسلمون يشيرون على الصليبيين بالاغارة على اطراف قوات صلاح الدين:

ومن حوادث ذلك التصوير العام تركيز صلاح الدين جهوده الحربية والسياسية سنة (هـ/) بصدد الاستيلاء على حلب والموصل وما بينهما من بلاد الجزيرة الفراتية، وقيام الصليبيين، بناء على مشورة بعض أمراء تلك البلاد من المسلمين، الكارهين لفكرة الجبهة الإسلامية المتحدة، بالإغارة على أطراف قوات صلاح الدين في حوران وضواحي دمشق، ونادت فئة من زعماء الصليبيين وقتذاك بوجوب أتباع تلك المشورة والدأب على التوسع في تلك الخطة الكفيلة في نظرهم

بتبديد القوي الأيوبية رويداً رويداً، وتعطيل تكوين الجبهة الإسلامية المتحدة أو تأجيلها إلى حين( ).

أرناط يبني اسطولا في البحر الأحمر للهجوم على مكة والمدينة:

وأول تلك الفئة فارس فرنسي الأصل والنشأة، قديم العهد بالحروب الصليبية وفلسطين، وهو ريجنالد شايتون أمير حصن الكرك الواقع في الجنوب الشرقي من البحر الميت، واسم ذلك الأمير في المراجع العربية أرناط، ويقال له كذلك البرنس( ).

ولذا لم يكد أرناط هذا أن يسمع بخبر مسير صلاح الدين شمالا نحو حلب في تلك السنة(هـ/)، حتى أخذ هو في تنفيذ مشروع راوده منذ سنين، وذلك بأن أعد سفنا حربية صغيرة نقلها أجزاء مفككة على ظهور الجمال إلى رأس خليج ايلة(العقبة)، حيث جعل من تلك السفن اسطولا للقرصنة لمفاجأة قوافل السفن التجارية في البحر الأحمر، والهجوم بعدئذ على مكة والمدينة برا، إذا هو استطاع إلى ذلك سبيلا( ).

واستولى أرناط أولا على ميناء ايلة، وهي وقتذاك من ممتلكات الناصر صلاح الدين، ثم حاصر قلعتها بنفسه على طول الساحل المصري للبحر الأحمر، وأخذت تغير على الموانيء المصرية، حتى وصلت إلى ميناء عيذاب. وضربت سفن أرناط ذلك الميناء تخريباً شديداً، وهو الميناء الرئيس للتجارة المصرية الدولية بين الشرق والغرب منذ أوائل العصور الوسطى، ونهبت مابه من سفن ومتاجر، ثم عبرت تلك السفن الى ساحل بلاد العرب، واستولت على مراكب راسية بميناء الحوراء شمالي ينبع والمدينة، وأبحرت من هناك إلى رابغ، وهي احدى موانيء مكة.

ثم عادت تلك السفن الجريئة أدراجها محملة بما اجتمع لها من أنهاب وأسلاب، أملا في الوصول بها إلى البرنس أرناط بميناء أيلة( ).

حملة مصرية تخلص بها البحر الأحمر من الصليبيين:

ولقد نهض العادل محمد، وهو أخو صلاح الدين ونائبه بمصر حينذاك، لاعتراض تلك السفن الصليبية الجاسرة، وهي في أول طريقها، وأنفذ لذلك حملة بحرية مصرية أيوبية بقيادة أمير البحر حسام الدين لؤلؤ. غير أن تلك الحملة التأديبية هجمت أولا على أرناط، وهو لايزال على حصار قلعة ايلة، واضطرته إلى رفع الحصار عنها والفرار إلى حصنه بالكرك( ).

وقد وصف القاضي الفاضل حصن الكرك في بعض كتبه، فقال: ((هو شجا في الحناجر، وقذى في المحاجر، قد أخذ من الآمال بمخنقها، وقعد بأرصاد العزائم، وطرقها، وصار ذئباً للدهر في ذلك الفج ، وعذراً لتارك فريضته الله من الحج، وهو وحصن الشوبك، يسر الله الآخر، كبيت الواصف للأسدين))( ):

مامرَّ يومُ إلا وعندهما لحمُ رجال أو يولغان دما

وفي كتاب آخر: ((وأما الكرك فكفات المنجنيقات عليه متضافرة، وحجارتها على من فيه حاجرة، وقد جرعت أنوف الأبرجة وأسبلت قناع الستائر وجوهها المتبرجة، وكل جوانبها وعرة المرتقى، صعبة المختطى، والسلطان يستعذب المشقات التي تتفادى منها الهمم، ويباشر جمرات الشتاء الطالح بوجهه المبتسم))( ).

ثم أبحر حسام الدين بسفنه المصرية الايوبية جنوباً من البحر الأحمر، باحثاً عن السفن الصليبية، حتى بغتها على مسافة غير بعيدة من ميناء الحوراء قبالة مكة، وهي محملة بما نهبت وسلمت، واستولى حسام الدين على السفن الصليبية

جميعها، وعمد إلى احراقها بمن فيها، ولذا أخذ الصليبيون يلوذون بالساحل العربي شمال مكة وجنوبها، ووراءهم الجنود المصريون الايوبيون والأعراب يقتلون ويأسرون.

وحملت السفن المصرية الأيوبية من أولئك الأسرى أعدادا كثيرة جيء بهم إلى القاهرة، وشهدهم الرحالة المغربي ابن جبير يطاف بهم في شوارع الأسكندرية، ووصف موكبهم وأخبار مغامرتهم الصليبية وصف شاهد عيان( ).

صلاح الدين يقسم لينتقمن من أرناط:

على ان مصائر اولئك الأسرى لم تكن كل ما انتهت إليه تلك المغامرة الصارمة من ذيول، إذ المعروف ان صلاح الدين أقسم وقتذاك يمينا مغلظة لينتقمن انتقاماً شديداً من أرناط على اساءته الاعتدائية الخبيثة، ولاسيما انه اعتدى سابقاً على أرض شبه الجزيرة العربية من ناحية البر حتى بلدة تميا ( ). والواقع ان الاقتصاص من أرناط بتخريب حصنه بالكرك على الأقل صار هدفا من أهداف صلاح الدين، الذي اتجه بنفسه أكثر من مرة لتحقيق ذلك الهدف، خلال مناوشاته التي اعتزم القيام بها هنا وهناك ضد الصليبيين، تمهيدا لما عقد النية على النهوض به من مشروع جهادي نهائي عام ضد السيطرة الصيلبية على فلسطين( ).

واشتد الزحف على فلطسين حتى صعد الناس الأماكن المرتفعة، وقاربوا المدينة، وتواصل القتال حتى صاروا يتقاذفون مع العدو الصليبي بحجارة باليد، ((فلما رأى عدو الله ماحل به من الصغار والبوار استغاثوا بطلب الأمان عشية الجمعة، وطلبوا قاضي المدينة، فدخل إليهم، ليقرر لهم قاعدة الأمان، فاجيبوا إلى ذلك))( ).

صلاح الدين يعود من حلب فيغزو فلسطين:

ولذا لم يستقر المقام بصلاح الدين في دمشق بعد عودته من حلب سوى خمسة وعشرين يوما، حتى زحف لغزو فلسطين في جيش غير صغير، مما يدل على أنه أعد العدة لذلك الزحف منذ مدة طويلة، وفي سرعة تدعو إلى الاعجاب، ودخل صلاح الدين أرض فلسطين مجتازا نهر الأردن، عند ملتقاه بالساحل الجنوبي من بحيرة طبرية، أي حيث جسر قرية الصنبرة، وهي قريبة عل الطريق الرئيس من شرق الأردن إلى جوف فلسطين، وسوف يمر عليها صلاح الدين مرة ثانية في أحوال مشابهة مستقبلة، ثم وصل صلاح الدين جنوبا إلى بيسان( )، وانقذ منها دوريات من جيشه في اتجاهات متعددة، لتخريب الحصون والمعاقل الصليبية المجاورة، ولأغراء جيوش مملكة بيت المقدس وتوابعها بان تخرج لمواجهته، على حين عسكر هو بمعظم جيشه حول بلدة الطوبائية وصهاريجها ذوات المياه الوفيرة الطيبة، وهو ماكان يحرص على توفيره دائما لعسكره( ).

الجيوش الصليبية تتحرك لملاقاة جيوش صلاح الدين:

وتحركت جيوش مملكة بيت المقدس وتوابعها من مختلف المراكز الصليبية، وتجمعت عند قرية صفورية، وهي موضع ممتاز بمياه عذبة وأرض خضراء، وسوف تجتمع الجيوش الصليبية عندها مرة أخرى في المستقل القريب. ثم تقدمت تلك الجيوش الصليبية جنوباً إلى عين جالوت، وعسكرت عندها، وصارت بذلك وجهاً لوجه أمام جيوش صلاح الدين في الطوبائية( ).

وظل الطرفان يترادیان على تلك الحال بضعة أيام حسوما أي متتابعة. ثم عمد صلاح الدين إلى فتح جناحي جيشه في سرعة ابتغاء القيام بحركة خاطفة

لتطويق المعسكر الصليبي حول عين جالوت، واجتذاب الجيوش الصليبية إلى الدخول في معركة مكشوفة. غير أن شيئاً من ذاك أو ذلك لم يحدث، نظراً لاحجام الصليبيين عن الحرب، ولتقرير صلاح الدين العودة إلى قواعده بدمشق( ).

صلاح الدين يصفي حساباته مع أرناط:

على الرغم من ان صلاح الدين لم يقنع بتلك النتيجة السالبة، بل عرج في طريق عودته على امارة الكرك، ليسوي بعض حساباته مع البرنس أرناط، ((وماله من المآثر المأثورة في الدنيا والدين، ومثابرته على جهاد أعداء الله، لأنه ليس أمام هذه البلدة بلدة الاسلام، والشام أكثره بيد الأفرنج، فأرسل الله هذا السلطان صلاح الدين رحمة للمسلمين بهذه الجهات، فهو لايأوي لراحة، ويخلد إلى دعة، ولايزال سرجه مجلسه، انا بهذه البلدة نازلون منذ شهرين وحللناها وقد خرج لمنازلة حصن لكرك))( )، ودخل صلاح الدين قلعة بلدة الكرك نفسها، واستولى عليها عنوة ولاذ البرنس بالفرار منها إلى داخل حصنه المشهور، حيث كانت حفلة عرس لقريب له تدق طبولها ودفوفها الموسيقية، على حين أخذ صلاح الدين في حصار الحصن، والرمي عليه بحجارة منجنيقية على الجانب الذي يقام فيه الزفاف من الحصن، من اكراما للعروسين. ومازال رجاله يعملون في الرمي على الجوانب الأخرى ويهيلون أكوام التراب والصخر إلى الخندق حتى أوشكوا على العبور إلى الحصن في سهولة( ).

صلاح الدين ينسحب بانتظام ليستكمل تجميع القوى الاسلامية قبل الهجوم:

وكاد المسلمون يعبرون بالفعل لولا وصول الملك بلدوين الرابع، صاحب مملكة بيت المقدس بنجدة كبيرة على الرغم من مرضه، وتقرير صلاح الدين أن

ينسحب عن الحصن قبل أن تتسع دائرة الحرب إلى مالم يكن مستعدا له حتى وقتذاك، لعدم استكمال توحيد القوى الاسلامية بالمشرق الاسلامي تحت رايته، وهو ما شرطه على نفسه تمهيدا للدخول فيما عقد النية عليه من مشروع جهادي عام ضد السيطرة الصليبية في فلسطين. ولذا رجع صلاح الدين إلى دمشق في أوائل سنة (هـ/)( ).

ثم عاد صلاح الدين إلى حصار حصن الكرك وارهاق أميرها أرناط مرة أخرى في خريف سنة (هـ/)، بيد أنه لم يلبث ان اضطر للمرة الثانية إلى رفع الحصار عن ذلك الحصن، نظرا لوصول نجدة من عند الملك المريض بلدوين الرابع مرة أخرى، كماحدث من قبل، ووصول الأخبار إلى صلاح الدين، بأن البقية الباقية من عملية توحيد القوى الاسلامية بالمشرق الاسلامي، وهي الموصل تتطلب حضوره شخصيا إلى بلاد الجزيرة( ).

موت بلدوين والهدنة( ):

ثم مات الملك المريض بلدوين في مايس (هـ/)، وصارت مملكة بيت المقدس الصليبية تحت وصاية زعيم صليبي قديم الصداقة والصلة بصلاح الدين، وهو الكونت رايموند الطرابلسي، واسمه في المراجع العربية القومص( ) القمص، وذلك ريثما يبلغ الملك الجديد بلدوين الخامس سن الرشد. واستطاع ذلك القومص ان يعاقد صلاح الدين على هدنة مدتها أربع سنوات، استعان بها على تهدئة بعض النواحي الحزبية الضاربة وقتذاك في مملكة بيت المقدس، كما رحب صلاح الدين بدوره بتلك الهدنة التي افسحت له من الوقت والجهد ماكفل تسوية مشكلة الموصل نهائيا، بحيث عاد من بلاد الجزيرة الفراتية إلى دمشق في سنة

(هـ/)، وهو مطمئن إلى اكتمال تكوين الجبهة الاسلامية المتحدة ودنو الساعة المرتقبة لاعلان الجهاد العام ضد الصليبيين( ).

الهدنة أثمرت ثمراً طيباً للطرفين:

وكانت الهدنة المعقودة بين صلاح الدين ومملكة بيت المقدس قد أثمرت ثمرا طيبا، إذ عادت التجارة السلمية إلى شيء من نشاطها القديم أيام الهدنات السابقة، وكثرت القوافل من القاهرة إلى دمشق عن طريق البلاد الصليبية الداخلية، ومن دمشق إلى عكا وصور وغيرهما من مواني الصليبيين( ).

وشهد الرحالة ابن جبير بعض ذلك النشاط، وسجله في مذكراته، دون أن يعلم بأخبار الهدنة التي أدت إلى ذلك النشاط السلمي بين المسلمين والصليبيين، ونصه: ((واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الفرنج غير منقطع، واختلاف المسلمين من دمشق إلى عكا كذلك، وتجار النصارى أيضا لايمنع أحد منهم ولايعترض. وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم، وهي من الأمنة على غاية، وتجار النصارى أيضا في بلاد المسلمين على سلعهم. والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الاحوال، وأهل الحرب مشغولون بحربهم، والناس في عافية، والدنيا لمن غلب))( ).

هذه سيرة أهل هذه البلاد في حربهم وفي الفتنة الواقعة بين امراء المسلمين وملوكهم كذلك، ولاتعترض الرعايا ولا التجار، فالأمن لايفارقهم في جميع الأحوال سلماً أو حرباً. وشأن هذه البلاد في ذلك أعجب من أن يستوفي الحديث عنه، والله يعلي كلمة الاسلام بمنه( ).

انقلاب سياسي عند الصليبيين يتزعمه حزب الحرب:

بيد ان تلك الهدنة لم تظل طويلا، إذ تخللها من الجانب الصليبي عكرها تعكيراً شديداً، مطلعه موت الملك الطفل بلدوين الخامس بمدينة عكا في سنة(هـ/)، واتفاق حزب الحرب من زعماء الصليبيين على انتهاز الفرصة المتولدة من تلك الوفاة لهدم مركز الوصي رايموند الطرابلسي وسياسته المهادنة، باعلان ضيعتهم جاي لوزينيان ملكا على بيت المقدس، بحق زواجه من الوريثة الشرعية لتلك المملكة؛ وتم ذلك كله بمدينة المقدس في أواخر سنة (هـ/)، وصارت سياسته المبادرة إلى حرب صلاح الدين، هي السياسة الرسمية العليا بين الصليبيين( ).

واعتكف رايموند الطرابلسي في مدينة طبرية غضبان أسفا على ما حدث من انقلاب سياسي عام ربما وخمت عواقبه، على حين نصح أصحابه من حزب الهدنة باعلان ولائهم الرسمي للملك الجديد جاي لوزينيان. غير ان الملك جاي واسمه (كي) جي من المراجع العربية. لم يطمئن الى سلبية رايموند الطرابلسي، واستشار فيما ينبغي عمله لاجتذابه إلى سياسة الحرب طوعاً أو كرهاً، فأشار عليه نضحاؤه بمهاجمة رايموند في طبرية، وإخضاعه لمشروع المبادرة إلى حرب صلاح الدين. وهنا عمد رايموند إلى طلب نجدة من صلاح الدين، فأنجده بكتيبة من عساكره الإسلامية، ليستعين بها ضدما عساه أن يحدث، ووعده بإرسال ما هو أكثر من ذلك في المستقبل القريب. ولا ننسى أن الناصر قد دخل دمشق بعد عافيته، وزار القاضي الفاضل، واستشاره، وكان لايقطع أمرا دونه، وقرر في نيابة دمشق ولده الأفضل علي، ونزل أبو بكر العادل عن حلب، لصهره زوج ابنته الملك الظاهر غازي بن الناصر، وأرسل السلطان أخاه العادل، صحبة ولده عمادالدين عثمان الملك العزيز على ملك مصر، ويكون الملك العادل أتابكه، وله أقطاع كبيرة جدا، وعزل عن

نيابتها تقي الدين عمر، فعزم على الدخول إلى أفريقيا، فلم يزل الناصر يتلطف به، ويترفق له، حتى أقبل بجنوده نحوه، فأكرمه، خير إكرام، واحترمه، وأقطعه حماة، وبلادا كثيرة معها، وقد كانت له قبل ذلك، وزاد له على ذلك مدينة ميافارقين( ).

وفي سنة (هـ/) هادن قومص طرابلس السلطان، وصالحه، وصافاه، حتى كان يقاتل الفرنج أشد القتال، وسبي منهم النساء والصبيان، وكاد أن يسلم، ولكن صده السلطان، فمات على الكفر والطغيان، وكانت مصلحته من أقوى أسباب النصر على الفرنج، ومن أشد من دخل عليهم في دينهم، وأجمع المنجمون على خراب العالم في شعبان لأن الكواكب الستة تجتمع فيه في الميزان، فيكون طوفان الريح، في سائر البلدان، وذكر أن ناسا من الجهلة، تأهبوا لذلك، بحفر مغارات في الجبال، ومدخلات، وأسراب في الأرض، خوفا من ذلك، قال: ((فلما كانت تلك الليلة، التي أشاروا إليها، وأجمعوا عليها، لم ير ليلة مثلها، في سكونها، وركودها، وهدوئها، وقد ذكر ذلك غير واحد من الناس، في سائر أقطار الأرض، وقد نظم الشعراء في تكذيب المنجمين، في هذه الواقعة وغريبها، أشعارا كثيرة حسنة منها))( ):

مزق التقويم والزيج فقد بان الخطا انما التقويم والزيج هباء وهموا

قلت للسبعة أبرام ومنع وعطا ومتى ينزلن في الميزان يستولي الهوا

ويثور الرمل حتى يمتلي منه الصفا ويعم الأرض رجف وخراب وبلى

ويعير القاع كالقف وكالطود العدا وحكمتم فأبى الحاكم إلا مايشأ

ما أتى الشرع ولاجاءت بهذا الانبيا فبقيتم ضحكة يضحك منها العلما

حسبكم خزياً وعاراً مايقول الشعرا ما أطمعكم في الحكم إلا الامرا

ليت إذ لم يحسنو في الدين طغا ما أسا فعلى اصطرلاب بطليموس والزيج العفا

وعليه الخزي ما حادت على الأرض السما.

أرناط ينقض الهدنة نهائيا:

هكذا كانت الحال في أوائل سنة (هـ/). ثم جد على العلاقات الهدنية بين صلاح الدين والصليبيين عموماً ما أفسدها نهائياً، وذلك حين اعترض البرنس أرناط قافلة تجارية مسافرة من القاهرة إلى دمشق وهي مارة بحصنه، واستولى عليها. وبدأ نقض أرناط الهدنة العامة بين المسلمين والصليبيين، ورفض أن يقوم بأية تسوية أو ترضية لصلاح الدين. وللمرة الثانية أقسم صلاح الدين لينتقمن من ذلك البرنس المعتدي أقسى الانتقام( ).

صلاح الدين يعلن الحرب من دمشق وتأتيه الجيوش من كل بلد:

والواقع ان الناصر صلاح الدين وجد في ذلك الحادث فرصته، فأعلن الجهاد من معسكره بدمشق، وجاءت إليه جيوش من انحاء مصر وبلاد الشام والجزيرة الفراتية، وبلغت عدة تلك الجيوش عشرين ألفا من الخيالة والمشاة( ).

عند ذلك أسرعت الزعامات الصليبية من حزب الحرب إلى تسوية ما بينها وبين رايموند الطرابلسي من اختلاف، واعاد رايموند إلى صلاح الدين كتيبته الإسلامية، واجتمعت جيوش مملكة بيت المقدس وتوابعها من الامارات والطوائف الصليبية في مدينة عكا، وسارت منها إلى صفورية، حيث انضم إليها رايموند الطرابلسي من طبرية، بعد ان ترك الكونتيسة زوجته بتلك المدينة ومعها حامية

احتياطية صغيرة، شأنها في ذلك شأن جميع المدن الصليبية التي أسهمت بقوتها الرئيسة في الجيش الصليبي العام في حين توجه الملك الأفضل نحو الجنوب لحماية الحجاج من غدر أرناط( ).

أما صلاح الدين فجعل بداية زحفه الكبير نحو الأراضي الصليبية من عند تل عشترا( )، واختار لذلك الزحف ساعة الصلاة من يوم الجمعة ربيع الثاني هـ/)، وكانت هذه عادته في حروبه، ايماناً منه واعلاناً بما في دعاء الخطباء على منابر صلوات الجمعة من بركة واستجابة. وأخبرته عيونه ورجالات يزكه وقتذاك بأن جيوش مملكة بيت المقدس وسائر الامارات والطوائف الصليبية اجتمعت عند صفورية، وانها على أهبة حربية لقتال شديد. ولذا عبر صلاح الدين بجيوشه نهر الأردن عند قرية الصنبرة جنوبي بحيرة طبرية، وعسكر حول قرية الاقحوانة، على الضفة الغربية من نهر الأردن وأقام هناك خمسة أيام، أي حتى يوم الأول من شهر تموز، آملا في ان الصليبيين سوف يتقدمون من صفورية عاجلا أو آجلا للهجوم عليه( ).

طبوغرافية أرض المعركة:

وهذا الموضوع يتطلب، نظرة طبوغرافية فاحصة للمنطقة الواقعة بين قريتي صفورية والاقحوانية، لمعرفة مدى ماللعوامل الجغرافية من تأثير في مجرى الحوادث التالية. وخلاصة ذلك أنها منطقة خصبة مرتفعة، مسافتها خمسة عشر ميلا(كم) تقريبا بين القريتين، وتتخللها مرتفعات ومنخفضات صخرية لاماء فيها في أثناء الصيف، وتحدها من ناحيتي الشمال والشرق سلسلة من مرتفعات جرداء، تنتهي منحدرة إلى بحيرة طبرية، ويخترقها طريق وعر قفر واصل إلى مدينة طبرية نفسها.

وينعرج هذا الطريق انعراجاً فرعياً نحو تل مزدوج غريب الشكل، اسمه قرون حطين، ثم ينحدر هذا الانعراج الى قرية حطين، وهي على مسافة خمسة أميال(كم) تقريبا في الشمال الغربي من مدينة طبرية( ).

المبحث الثاني:

استراتيجة صلاح الدين في المعركة:

وكان السلطان صلاح الدين عليما بملامح تلك المنطقة ومنعرج طريقها وندرة مياهها في فصل الصيف، وتمنى أن تتغلب الحماسة العمياء على الحكمة الاستراتيجية بين صفوف الصليبيين، وان يزحف الصليبيون نحوه على طول الطريق الوعر القفر من صفورية إلى الاقحوانية. فلما ايقن بنكوصهم عن تلك المغامرة عمد هو إلى اغرائهم بالتظاهر بالزحف نحوهم، بان حرك جيوشه إلى قرية كفريسبت، وهي في أقصى الطرف الجنوبي من المنطقة الهضبية، حيث لم يزل الماء وفيرا لحاجات جيوشه، وأخذ يبعث السرايا الاستطلاعية من هناك صوب صفورية، ايهاما بعزمه على الزحف نحوهم بين عشية أو ضحاها. بيد أن تلك السرايا الاستطلاعية لم تغير عن الخطة الصليبية الانتظارية شيئا، ممايدل على أن تلك الخطة ظلت هي المعمول بها حتى وقتذاك، وان الصليبيين ربما بقوا في مواضعهم إلى حين ينتهي موسم القتال( ).

هنا قرر صلاح الدين قراراً خطيراً، بأن يؤدي إلى ماصبأ إليه من تحريك الصليبيين نحوه من مواضعهم من صفورية، وذلك بأن زحف بجيوشه يوم الخميس تموز شمالا إلى رأس الطريق المرتفع المؤدي من صفورية إلى طبرية، بحيث صارت طبرية وراء ظهره على قول ابن الاثير، وهناك رتب صلاح الدين جيوشه

ترتيباً استعدادياً نهائيا، فجعل تقي الدين عمر ابن أخيه على الميمنة، ومظفر الدين كوكبري صديقه القديم على الميسرة، وتولى هو قيادة القلب، حيث كان معه ابنه الشاب الأفضل علي( ).

ثم عاد صلاح الدين جنوبا بجزء من عسكره، وزحف بنفسه على طبرية نفسها، واستولى عليها في ساعة من نهار. واعتصمت الكونتيسة زوجة رايموند الطرابلسي بقلعة طبرية، وأرسلت تطلب النجدة من الجيش الصليبي العام، فأصدر الملك جاي الأمر بالزحف نحو طبرية، وكان ذلك أقصى ماتمناه الناصر صلاح الدين( ).

وعلى أثر ذلك تحرك الجيش الصليبي العام من متنفس الصبح من يوم الجمعة ربيع الثاني هـ/ تموز)، وكان الكونت (القس رايموند الطبرابلسي) على رأس المقدمة بحق أقدميته العسكرية ومسير الصليبيين في أرضه وجغرافيته، وتولى الملك جاي قيادة القلب، وهو الجيش الرئيس، ومعه البرنس أرناط صاحب الكرك، كما تولى فارس مشهور اسمه باليان قيادة المؤخرة، حيث كانت طائفتا الاسبتارية( ) والداوية( )، ومعهم صليب الصلبوت أو الصليب الأعظم( ) ورأي السلطان ((أن نعمة الله عليه باستقرار قدمه في الملك وتمكين الله اياه في البلاد، وانقياد الناس لطاعته، ولزومهم قوانين خدمته ليس لها شكر سوى الاشتغال ببذل الجهد والاجتهاد في اقامة قانون الجهاد))( ).

ولم يلبث صلاح الدين ان علم بحركة الجيش الصليبي العام، وبتحقيق أركان حسابه الدقيق، فترك جنوده يعملون مايشاءون حول قلعة طبرية، ورجع ذلك الصباح إلى جيشه الرابض على تعبئة واستعداد، وجاءت إليه الأخبار بمدى الحركة الصليبية

العامة لنجدة طبرية، فلم يملك أن أظهر الفرح، وقال في عبارة مسجوعة منقولة عن أبي شامة مانصه: ((جاءنا مانريد ونحن أولو بأس شديد، وإذا صحت كسرتهم، فطبرية وجميع الساحل مادون مانع ولا من فتحه وازع))( ). وكان نزوله في هذه المنزلة يوم الاربعاء الحادي والعشرين من ربيع الآخر، فلما رآهم لا يتحركون نزل جريدة على طبرية، وترك الطلاب بحالها قبالة وجهة العدو، ونازل طبرية، وزحف عليها فهجمها، وأخذها في ساعة من نهار، وامتدت الايدي إليها بالنهب والاسر والحريق والقتل واحتمت القلعة وحدها.

وأنفذ صلاح الدين من الخيالة الخفيفة أعدادا للرمي على الصليبيين بالنشاب من بين الصخور والثنايا على جانبي الطريق الوعر المرتفع، والصليبيون يخترقون ذلك الطريق من خيالة ثقيلة كالمعتاد. واستمرت تلك المرحلة الاتبدائية حتى بلغت الشمس الضحى، وان دارت حرارة الصيف شدة، والماء في الطريق معدوم الوجود. ثم وصل الصليبيون عند الظهر إلى موضع اسمه اللوبيا، ((وضاق الخناق بالقوم، هذا وهم سائرون كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون، وقد أيقنوا بالويل والثبور، وأحست أنفسهم انهم في غد زوار القبور))( )، وهو منتصف المسافة بين صفورية وطبرية، على وجه التقريب، وبه بئر اعتقدها الصليبيون ذات ماء يكفي لاطفاء ظمأ الجند والخيل، فقدروا الوقوف عندها، وضربوا خيامهم حولها للراحة والسقيا والمبيت، استعدادا للزحف نحو طبرية في اليوم التالي، وهو يوم السبت ربيع الثاني سنة (هـ/ تموز). غير أن الصليبيين وجدوا ان بئر اللوبيا جافة أو تكاد، كما رأوا أن الخيالة الاسلامية أخذت تسد الطريق إلى مدينة طبرية وبحيراتها ذات المياه العذبة القريبة البعيدة. لذا قضى الصليبيون ليلتهم في ضنك من تعب السير

في النهار الحار، وشدة العطش في الليل الخانق مع قلة الأمل فيما سوف يأتي به الصباح( ).

وذلك على حين امتلأ المعسكر الاسلامي بقرية حطين ذات المياه الوفيرة بحركة تنبئ عن جند كثيرة من خيالة ومشاة، تنبعث من خيامها تكبيرات وتهليلات مرجوزة عالية بلغت اصداؤها اسماع الصليبيين في جنح الظلام الدامس. وفي وسط تلك الحركة وتكبيراتها وتهليلاتها كان صلاح الدين ساهرا يرقب الطريق الى طبرية وبحيراتها العذبة بكتيبة من خيالته، لمنع أية محاولة صليبية للوصول إلى مورد يرتوون منه حتى الصباح، ويرتب جيوشه للمعركة القادمة. ولقد اهتم صلاح الدين أكبر الأهتمام بالخيالة الخفيفة وذخيرتها، فأمر بملء جعاب الفرسان بالنشاب، حتى بلغت كمية مافرقه عليهم منها أربعمائة حمل من أحمال الجمال، فضلا عن سبعين حملا أخرى جعلها على ظهور الجمال بمثابة الاحتياطي المتحرك( ).

ويقول أحد المؤرخين: ((أصبح صلاح الدين والمسلمون يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر، فركبوا وتقدموا إلى الفرنج، فركب الفرنج، ودنا بعضهم من بعض. الا ان الفرنج قد اشتدبهم العطش فعزلوا، فاقتتلوا واشتد القتال، وصبر الفريقان، ورمى خيالة المسلمين من النشاب ماكان كالجراد المنتشر، فقتلوا من خيول الفرنج كثيرا. هذا والقتال بينهم، والفرنج قد جمعوا نفوسهم براجلهم وراكبهم، وهم يقاتلون سائرين نحو طبرية، لعلهم يردون الماء))( ).

ويشر ابن شداد ((لقد طلب كل من الفريقين مقامه، وعلمت كل طائفة أن المكسورة منهما مدحورة الجنس معدومة النفس، وتحقق المسلمون أن من ورائهم الأردن، ومن بين أيديهم بلاد القوم، وأن لا ينجيهم إلا الله تعالى))( ).

فلما علم السلطان صلاح الدين مقصدهم صدهم عن مرادهم، ووقف بالعسكر في وجوههم، وطاف بنفسه على المسلمين يحرضهم، ويأمرهم بما يصلحهم وينهاهم عما يضرهم، والناس يأتمرون بقوله، ويقفون عند نهيه. فحمل مملوك من مماليكه الصبيان حملة منكرة على صف الفرنج، فقاتل قتالا عجب منه الناس. ثم تكاثر لفرنج عليه فقتلوه. فحين قتل حمل المسلمون جملة منكرة ضعضعوا الكفار وقتلوا منهم كثيرا( ).

فلما رأى القمص رايموند الطرابلسي شدة الأمر على انهم لا طاقة لهم بالمسلمين، فاتفق هو وجماعة وحملوا على من يليهم، وكان المقدم على المسلمين في تلك الناحية تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين. فلما رأى أن حملة الفرنج حملة مكروب، علم أنه لأسبب إلى الوقوف في وجوههم، فأمر أصحابه أن يفتحوا لهم طريقا يخرجون منه( ).

وكان بعض المتطوعة قد ألقى في تلك الأرض ناراً، وكان الحشيش كثيراً، فاحترق، وكانت الريح، فحملت حر النار والدخان إليهم. فاجتمع عليهم العطش، وحر الزمان، وحر النار والدخان، وحر القتال( ).

فلما هزم القمص سقط في أيديهم، وكادوا يستسلمون، ثم علموا أنهم لا ينجيهم من الموت سوى الإقدام عليه، فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون المسلمين على كثرتهم عن مواقفهم، لولا لطف الله بهم. إلا ان الفرنج لا يحملون حملة فيرجعون الا وقد قتل منهم عدد كبير. فوهنوا لذلك وهناً عظيماً. فأحاط بهم المسلمون احاطة الدائرة بقطرها، فارتفع من بقي من الفرنج إلى تل بناحية حطين، وأرادوا أن ينصبوا خيامهم ويحموا أنفسهم به. فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات ومنعوهم عما

أرادوا، ولم يتمكنوا من نصب خيمة غير خيمة ملكهم لاغير. وأخذ المسلمون صليبهم الأعظم الذي يسمونه صليب الصلبوت، ويذكرون أن فيه قطعة من الخشبة التي صلب عليها المسيح عليه السلام بزعمهم، فكان أخذه من عندهم من أعظم المصائب عليهم، وأيقنوا بعده بالقتل والهلاك. هذا والقتل والأسر يعملان في فرسانهم المشهورين، والشجعان المذكورين( ).

يتحدث الملك الأفضل علي ولد صلاح الدين، قال : كنت إلى جانب أبي في ذلك المصاف(القتال)، وهول أول مصاف شاهدته، فلما صار ملك الفرنج على التل في تلك الجماعة حملوا حملة منكرة على من بازائهم من المسلمين حتى ألحقوهم بوالدي. قال فنظرت إليه وقد علته كآبه، وأربد لونه، وأمسك بلحيته، وتقدم وهو يصيح في جند المسلمين ((كذب الشيطان)). قال فعاد المسلمون على الفرنج، فرجعوا، فصعدوا إلى التل، فلما رأيت الفرنج قد عادوا والمسلمون يتبعونهم صحت من فرحي (هزمناهم). فعاد الفرنج فحملوا حملة ثانية مثل الأولى، وألحقوا المسلمين بوالدي، وفعل هو مثلما فعل أولا. وعطف المسلمون عليهم فلحقوهم بالتل، فصحت أنا أيضا (هزمناهم) فالتفت والدي إلي، وقال اسكت مانهزمهم حتى تسقط تلك الخيمة( ).

قال فهو يقول لي ذلك وإذا الخيمة قد سقطت! فنزل السلطان عن فرسه، وسجد شكرا لله تعالى، وبكى عن فرحه، وكان سبب سقوطها ان الفرنج لما حملوا تلك الحملات أزدادوا عطشا، وقد كانوا يرجون الخلاص من بعض تلك الحملات مماهم فيه، فلم يجدوا إلى الخلاص طريقا، فنزلوا عن دوابهم، وجلسوا على الأرض، فصعد المسلمون إليهم، فألقوا خيمة الملك إلى الأرض. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أسروهم عن بكرة أبيهم، وفيهم الملك جاي وأخوه والبرنس أرناط صاحب

الكرك، ولم يكن للفرنج أشد منه عداوة للمسلمين. وأسروا أيضا صاحب جبيل، وابن هنفري ومقدم الداوية، وكان من أعظم الفرنج شأنا، وأسروا أيضا جماعة من الداوية، وجماعة من الاستبارية، وكذلك كثر القتل والأسر فيهم، فكان من يرى القتلى لايظن ان المسلمين أسروا واحداً، ومن يرى الأسرى لايظن أنهم قتلوا واحداً، فقتلوا عن بكرة أبيهم( ).

وما أصيب الفرنج منذ جاءوا إلى فلسطين، وهو سنة (هـ/) إلى الآن بمثل هذه الوقعة. فلما فرغ المسلمون منهم أنزل السلطان صلاح الدين في خيمته، وأحضر ملك الفرنج عنده الذي أسره هو درباس الكردي والبرنس فقد أسره ابراهيم غلام الأمير المهراني الكردي( )، صاحب الكرك، ((وأجلس صلاح الدين الملك جاي إلى جانبه، وقد أهلكه العطش، فسقاه ماء مثلوجا منها، وكان على أشد حال من العطش، ثم ناول بعضها البرنس أرناط، فقال السلطان للترجمان: قل للملك: أنت الذي تسقيه، وإلا أنا ماسقيته))( ). وكان قصده الاشارة إلى أن شربة الماء لو اعطاها صلاح الدين لارناط البرنس بيده فانه يكون قد أمنه طبقا للمعروف من عادات العرب والمسلمين آنذاك( )، فقال السلطان ان هذا الملعون(البرنس) لم يشرب الماء بأذني، فينال أماني، ثم كلمه وقرع صلاح الدين ذنوبه، وعدد عليه عوراته، وقام إليه بنفسه، فضرب عنقه، وقال: ((كنت نذرت دفعتين أن أقتله أن ظفرت به))، أحدهما لما أراد المسير إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، والثانية لما أخذ القفل (القافلة) غدرا( ).

فلما قتله الناصر صلاح الدين، وسحب جثمانه وأخرج، ثم رميت جثته خارج الخيمة، بعدأن قتله بنيمجاه وحل كتفه. ارتعدت فرائص الملك جاي، فسكن صلاح

الدين جأشه وأمنه، واستحضره السلطان وطيب قلبه، وقال: ((لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك، وأما هذا فانه تجاوز حده))( )، فجرى ماجرى له.

وأما القمص صاحب طرابلس فانه لما نجا من المعركة، كما أشرنا، وصل إلى صور، ثم قصد طرابلس، ولم يلبث إلا أياماً قليلة حتى مات غيظاً وحنقاً، مما جرى على الفرنج يوم حطين (هـ/)( ).

هذا ولقد بات الناس في تلك الليلة نومة هانئة وأتم سرور، وأكمل حبور، ترتفع أصواتهم بالحمدلله والشكر له، والتكبير والتهليل، حتى مطلع الفجر في يوم الاحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر، حيث نزل صلاح الدين على طبرية وتسلم في بقية ذلك اليوم قلعتها، وأقام بها إلى يوم الثلاثاء( ).

الخلاصة

بدأ عهد جديد للجيش الصلاحي من حطين، إذ باحرازه النصر على القوى الصليبية استطاع ان يحرر مجموعة كبيرة من القلاع والمدن المحتلة. وألحقت خسارة فادحة بالصليبيين، لأنهم كانوا قد انزلوا إلى ميدان حطين أفضل فرسانهم وأكثر محاربيهم، حتى صارت المدن والقلاع الصليبية شبه خالية من المدافعين. فما كان من صلاح الدين إلا أن يستغل هذه الفرصة انسجاما مع الحديث الشريف الذي يحث المسلمين على استغلال فرصته فتح باب الخير، بقوله صلى الله عليه وسلم: ((من فتح له باب خير فلينتهزه، فإنه لايعلم متى يغلق دونه))( ).

ولابد هنا أن نقول ونحن ننهي حديثنا عن معركة حطين (هـ/) أن نجاح صلاح الدين الباهر في هذه الوقعه لم يكن بسبب شجاعة جنده وبراعته الستراتيجية، التي اتبعها في مواجهة العدو، فحسب، بل كان يسبب أخطاء الصليبيين كذلك، وقصر نظرهم في عدم تقديرهم الامور بعين ثاقبة، وانسياقهم خلف خطط الناصر صلاح الدين، ولاسيما في استدراجهم حيث ماشاء، وكان على السلطان صلاح الدين أن يضع في حسبانه لدى وضعه هذه الاستراتيجية، إمكانية استغلال أخطاء الصليبيين، فاستغلال أخطاء العدو يعد جزءا من الستراتيجية التي يضعها القادة العسكريون عادة( ).

الهوامش:

- ابن الاثير: الكامل في التاريخ، / ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، / .

- ابن الأثير: الكامل، / ؛ المقريزي: السلوك، / - .

- الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ( )كم تقريبا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، / .

- الرقة: وهي مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام. ياقوت: البلدان، / .

- نصيبيين: وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ( )كم تقريبا. ياقوت: البلدان، / .

- قاسم عبده قاسم: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص .

- ابن الاثير: الكامل، / .

- المصدر نفسه، / .

- المصدر نفسه، / .

- عيذاب: بليدة على ضفة بحر القلزم(بحر الأحمر) هي مرسئ المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، / .

- ابن الاثير: الكامل، / ؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، / المقريزي: السلوك، / - .

- ابن الاثير: الكامل، / - ؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، / ؛ المقريزي: السلوك، / -

Runciman: Ahistory of the crusades, Cambridge, univ, press, 1057, vol.II, p.p. 436-437; H.E.Mayer: The crusades (transl, by: John Gilligham oxford university press, 1972, pp.123-124.

- ابن الاثير: الكامل، / ؛ ابوشامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، / ؛ ابن واصل: مفرج الكروب، / الحاشية؛ هيثم جمعة: الناصر صلاح الدين الأيوبي، دار النهج للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، حلب، .

- ابن الاثير: الكامل، / - ؛ ابوشامة: الروضتين، / - ؛ محسن محمد حسين: الجيش الأيوبي، ص .

- لمقريزي: السلوك، / .

- ابن الاثير: الكامل، / - ؛ قاسم عبدة قاسم: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، .

17- Runciman: op.cit, p.435.

- ابن الاثير: الكامل، / ؛ قاسم عبدة: في تاريخ الايوبيين، ص .

- قاسم عبدة: في تاريخ الايوبيين، ص .

- بيسان: مدينة تقع بين دمشق وحصن الكرك. المقريزي: السلوك، / - .

- المقريزي: السلوك، / - .

- ابن الاثير: الكامل، / - .

- حصن الكرك: قلعة حصينة جدا تقع في طرف الشام نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة(العقبة) وبحر القلزم (بحر الأحمر). ياقوت: البلدان، / .

- ابن الاثير: الكامل، / - .

25- Runciman: op.cit, II, pp.440- 441.

- ابن الاثير: الكامل، / Runciman: op cit, II, p.440

- ابن الاثير: الكامل، / -

Mayer: op.cit, p.126; Runciman: op.cit, II, pp.444- 445.

- ابن الاثير: الكامل، / - ؛ المقريزي: السلوك، / - .

29- Mayer: op.cit, p.126.

30- Runciman: op.cit, II, pp.447- 449; Mayer: op.cit, p.130.

- جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الاسلامية، العصران الأيوبي والمملوكي، دار المعارف، القاهرة، / - .

- السلو / .

- ابن الاثير: الكامل، / ؛ قاسم عبدة: في تاريخ الايوبيين، ص

Mayer: op.cit, p.131.

- ابن الاثير: الكامل، / ؛ ابن كثير: البداية، / - .

- ابن الاثير: الكامل، / - ؛ ابن كثير: البداية، / .

- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون(العبر) / ومابعدها.

- ابن الاثير: الكامل، / - .

- المصدر نفسه، / ومابعدها.

- المصدر نفسه، / ومابعدها.

- ابن العديم: زبدة الحلب، / ؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، / - .

- ابن الاثير: الكامل، / ؛ ابن كثير : البداية، / .

- ابن الاثير: الكامل، / - ؛ ابن كثير: البداية، / .

- ابوشامة: الروضتين، / .

- المصدر نفسه، / .

- ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص - ؛ ابن الاثير: الكامل، / - .

- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، / - .

- ابن الاثير: الكامل، / ومابعدها؛ ابن كثير: البداية، / ؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، / - .

- ابن شداد: النوارد السلطانية، ص .

- ابن الاثير: الكامل، / - ؛ ابن كثير: البداية، / - .

- ابن الاثير: الكامل، / - .

- المصدر نفسه، / - .

- المصدر نفسه، / .

- ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص Runciman: op cit, II, p. 440

- الباز العريني: الشرق الأوسط، / ؛ محسن محمد حسين: الجيش الأيوبي، ص .

- ابن الاثير: الكامل، / .

- المصدر نفسه، / ؛ ابن خلدو : تاريخ ابن خلدون، / - .

- بلدوين وهو ابن أخت الملك بلدوين الرابع(الأبرص) سبيلا من زوجها الأول وليم ذي السيف الطويل أكبر أبناء مركيز مونتيغبرات وقد تم زواجها سنة هـ/ م لكنه توفي بعد اصابته بالملاريا سنة (هـ/). ينظر ابن الاثير: الكامل، / حاشية رقم( ) Williu of tyre xxI 13, pp.1025- 1026

- القومص تقريب حرفي للفظة اللاتينية(Comes) أي الأمير، ومعناها الأصلي من اللاتينية(الرفيق) لأنه كان في بادي الأمر يرافق الملك في حروبه وتنقلاته، ثم سمي بالأمير، واللفظة دخلت الفرنسية بصيغة (Comete)، والانجليزية بصيغة (Count). يراجع: ابن واصل:

مفرج الكروب، / . والقومص هوريموند كونت صاحب طرابلس، وهو ابن خالة بلدوين الرابع وكانت زوجته الشيفا(Eschiva de Bures) آنذاك أميرة على الجليل صاحبة طبرية، اعتبره جي ملك القدس الصليبي خائنا قبيل معركة حطين، وقد أوصى إليه لانه أدرك مايؤدي إليه نفوذ أمه وأصدقائها من الدمار وتقرر ابعاد جاي لوزيجنان زوج سبيلا عن الوصاية، ولكن فرحة ريموند لم تطل إذ توفي الصبي(بلدوين قبل أن يبلغ العاشرة من عمره. ينظر: ابن الاثير: الكامل، / حاشية ينظر: ابن العبري: تاريخ الدول السرياني، في مجلة المشرق، السنة - ، لسنة .

- ابن الاثير: الكامل، / - ؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، / - ينظر: ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص - ؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي: / ؛ الحنبلي: شفاء القلوب، ص - .

- ابن الأثير: الكامل، / .

- رحلة ابن جبير، ص - ؛ ينظر: ابن خلدون: تاريخ، / - مع اختلاف في النص.

- ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص - .

- ابن الاثير: الكامل، / ؛ ابن كثير: البداية، / .

- ابن الاثير: الكاامل، / ؛ ابن شداد: النوادر، ص .

- ابن كثير: البداية، / .

- ابن الاثير: الكامل، / .

- المصدر نفسه، / .

- العماد الاصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ؛ ابن الاثير: الكامل، / سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، / ؛ ابن العديم: زبدة الحلب، / ؛ ابن واصل: مفرج، / .

- تل عشترا: موضع بحوران من أعمال دمشق. ياقوت: معجم البلدان، / .

- ابن الاثير: الكامل، / ؛ عبدالجبار السامرائي: معركة حطين، دراسة تاريخية عسكرية، مجلة المورد، بغداد، م، المجلد ، العدد( ) ؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية، / ؛ محسن محمد حسين: الجيش الأيوبي، ص - .

- ابن الاثير: الكامل، / - ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، / .

- ابن الاثير: الكامل، / .

- المصدر نفسه، / .

- المصدر نفسه، / .

- الاسبتارية: فهي التسمية العربية لطائفة فرسان المشفى، وهو تحريف ظاهر للكلمة الفرنسية(Hospitaliers)، والانجليزية (Hospitalers) التي كانت تطلق في الحروب الصليبية على طائفة من الفرسان المترهبين، كما عرفوا بفرسان القديس يوحنا، ويشبه هذه الطائفة فرسان الهيكل(Templiers) بالفرنسية وبالانجليزية(Templars) وسماهم المسلمون فرسان الداوية. وقامت الطائفتان بدور هام في الحروب الصليبية، فكانت أشبه بالقوات الخاصة المتميزة بقوتها ومراس أفرادها. وكان يقابلها من حيث القوة والبأس فرق المماليك السلطانية الفائقة التدريب. ينظر: ابن اشداد: النوادر، ص هامش رقم( )؛ ابوشامة: الروضتين، / هامش رقم( ).

- الداوية: قوم من الفرنج ينذرون أنفسهم للجهاد ضد المسلمين ويمنعون أنفسهم من النكاح وغيره، ينسبون إلى حصن بنواحي الشام. ينظر: ياقوت: معجم الادباء، / ؛ ابن شداد: النوادر، ص ، هامش رقم( )؛ نسرين محمود علي الإربلي: الأمن في مصر وبلاد الشام في عهد الناصر صلاح الدين، مكتبة التفسير للنشر والتوزيع، أربيل، هامش ( )

King.E.G: The kindghts, Hospitallers in the holy land, London, 1931, p.36.

- ابن الاثير: الكامل، / .

- ابن شداد: النوادر السلطانية، طبعة دمشق، .

- الأطلاب: ومفردها طلب كلمة كردية أو تركية كما ذكرها المقريزي ومعناها الأمير الذي يقود مائتي فارس في ميدان القتال. وتطلق أيضا على قائد المائة، وكذلك السبعين، وكان أول استعمال لهذا اللفظ بمصر والشام أيام صلاح الدين. ينظر: ابن واصل: مفرج، / هامش رقم( ) المقريزي: السلوك، / هامش رقم( )؛ محسن محمد حسين: الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص هامش رقم( )؛ نسرين محمود علي: الأمن في مصر وبلاد الشام، ص هامش رقم( ).

- العماد الاصفهاني: الفتح القسي، ص ؛ أبوشامة: الروضتين، / .

- ابن شداد: النوارد، ص .

- المصدر نفسه، ص ؛ ابن واصل: مفرج الكروب، / .

- العماد الاصفهاني: الفتح القسي، ص ؛ ابن شداد: النوادر، ص .

- ابن الاثير: الكامل، / .

- النوادر، ص .

- ابن الاثير: الكامل، / .

- المصدر نفسه، / .

- المصدر نفسه، / ؛ ابن العديم: زبدة الحلب، / ؛ ابن واصل: مفرج، / .

- ابن الاثير: الكامل، / ؛ محسن محمد حسين: الجيش الأيوبي، ص ؛ وينظر إلى:

Rosebault charlies. T. Saladin prince of chivalary, London, 1930, p.182.

- ابن واصل: مفرج الكروب، / ؛ محسن محمد حسين: الجيش الأيوبي، ص .

- ابن الاثير: الكامل، / ؛ ابن شداد: النوادر، ص .
- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، / .
- ابن شداد: النوادر، ص .
- المصدر نفسه، ص ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، / الحاشية.
- ابن الاثير: الكامل، / - .
- ابن ش : النوادر، ص ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، / - .
- ابن الاثير: الكامل، / .
- ابن شداد: النوادر، ص .
- المصدر نفسه، ص .
- محسن محمد حسين: الجيش الأيوبي، ص .

المصادر والمراجع

المصادر

ابن الاثير: أبوالحسن عزالدين علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري (هـ/).

- الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت، .

ابن تغري بردي: جمال الدين ابوالمحاسن الاتابكي(هـ/).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، .

ابن جبير: أبوالحسن محمد بن أحمد بن جبير (هـ/).

- رحلة ابن جبير: باشراف لجنة تحقيق التراث، دار مكتبة الهلال، الطبعة الثانية، بيروت، .

الحنبلي: أحمد بن ابراهيم (هـ/).

- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: ناظم رشيد شيخو، من مطبوعات وزارة الثقافة الفنون، دار الحرية للطباعة، بغداد، .

ابن خلدون: أبوزيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد (هـ/).

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر(تاريخ ابن خلدون)، دار البيان، بغداد، د. .

ابن خلكان: شمس الدين ابوالعباس أحمد بن محمد(هـ/).

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: .احسان عباس، مطبعة الغريب، دار الثقافة، بيروت، ثمانية أجزاء - .

سبط ابن الجوزي: أبوالمظفر شمس الدين قزاوغلي التركي(هـ/).

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، قسم أول.

أبوشامة: شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي(هـ/).

- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وضع حواشيه وعلق عليه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ، بيروت، .

ابن شداد: بهاء الدين يوسف بن رافع الأسدي(هـ/).

- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية(سيرة صلاح الدين)، طبعة دمشق، .

ابن العبري: أبوالفرج غريغوريوس أهرون الملطي(هـ/).

- تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، ط ، بيروت، .

- تاريخ الدول السرياني، ضنفه باللغة السريانية، ترجمة إلى العربية: إسحاق أرملة السرياني، منشور في مجلة المشرق البيروتية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت من السنة لعام ومن السنة إلى العام .

ابن العديم: أبوالقاسم كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله الحلبي (هـ/).

- زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: .سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ج ، طبع سنة ، طبع عام .

عمادالدين الاصفهاني: أبوعبدالله محمد بن محمد بن حامد بن عبدالله بن علي (هـ/).

- الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق وشرح وتقديم: محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، .

ابن كثير: عمادالدين أبوالفداء اسماعيل الدمشقي(هـ/)

- البداية والنهاية في التاريخ، دار المنار للطبع والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، .

المقريزي: أحمد بن علي بن عبدالقادر(هـ/).

- السلوك لمعرفة دول الملوك، ومنقحة ج صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة، القاهرة، .

ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم(هـ/).

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج ، عصر صلاح الدين(- هـ/ -) حققه وعلق على حواشيه وقدم له: .جمال الدين الشيال، المطبعة الأمريكية، القاهرة، .

ابن الوردي: زين الدين بن عمر بن مصطفى(هـ/).

- تتمة المختصر في أخبار البشر المشهور بـ(تاريخ ابن الوردي)، دار المعرفة، ط ، بيروت، . .

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبوعبدالله الحموي (هـ/).

- معجم البلدان، دار أحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت، .

- معجم الأدباء أو (الارشاد الاريب إلى معرفة الأديب)، دار الكتب العلمية، (.) .

المراجع:

الباز العريني:

- الشرق الأوسط في الحروب الصليبية، دار النهضة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، .

.جمال الدين الشيال:

- تاريخ مصر الاسلامية، العصران الأيوبي والمملوكي، دار المعارف، القاهرة، .

.سعيد عبدالفتاح عاشور:

- الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، .

.قاسم عبده قاسم:

- في تاريخ الايوبيين والمماليك، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، عمان، .

.محسن محمد حسين:

- الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، م، والطبعة الثانية، دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل، .

.نسرين محمود علي الإربلي:

- الأمن في مصر وبلاد الشام في عهد الناصر صلاح الدين، مكتبة التفسير للنشر والتوزيع، أربيل، .

هيثم جمعة:

- الناصر صلاح الدين الأيوبي، دار النهج للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، حلب، .

المجلات:

عبدالجبار السامرائي:

- معركة حطين، دراسة تاريخية عسكرية، مجلة المورد، المجلد( )، العدد( )، بغداد، .

Mayer.H.E:

The Crusades, (transl, by: John Gilligham Oxford university press, 1972.

King.E.G:

- The kindgts, Hosoitallers in the holy land, London, 1931.

Rosebault Charles J:

- Saladin, prince of chivalry, London, 1930.

Runciman:

- A Historynof the crusades, Cambridge, univ, press, 1957.

Summary

Salahaddin rounded up his troops and set out heading the enemy's lands at midday of Friday 17th of Rubi Al- Akhhir, 583H comesponding the 14th of July 1187A.D. He would purposely carry on his military expeditions on Fridays purhculary at prayer time in order to be blessed by the supplication of Moslems and preachers on rostrums salahaddin was informed that it came to the enemy's hearing that sulahaddin Al-Ayyubi was determined to attack him. Thus they gathered in safuria meadow in Aka land. So, king Al- Nasir proceeded straightaway to him. Later that day he came down Tiberias near Al- Sanbara village in Jordan. There were three miles between this place and Tiberias. Then he left and headed west of Tiberias on the mountain anticipating that the Europeans would come to him, but they didn't.

Seeing this, Salahaddin left a group of horses by to be care for by one pedestrian in Tiberias and left the commission as they were in front of the enemy's direction.

He attacked Tiberias and took it in one day's hour. The castle sought protection alone. The Salahid army started killing, taking prisoners and burning.

The Europeans knew about this and took zeal and aimed for Tiberias in order to defend it. Princes of foremost ranks sent men to tell

salahaddin about the news. He left Tiberias and asked some of his men to protect its heart.

Slahaddin marched the troops until they met the Europeans on the surfaces of the eastern mountain of Tiberias in the late of Thursday, twenty- second of the above- mentioned month.

Night came and the two teams waited ready for the morning. Salahaddin conducted the affair of arranging the army. Fighting started in the land of a village called Al- lubia.

The situation appareled the Europeans and their killed fell here and there until night came and fatigue restrained the two teams. Then there came Saturday in the blessed morning. The Moslems knew truly that Jordan was behind them and the enemy in front of them, and God would not save them except by their firmness. From the sides and from the heart, Moslem princes made an attack on the enemy and gained a victory over them.

Seeing that their fellows were defeated, the prince of the Europeans escaped from the Moslems who chased him. The the Moslem surrounded the delusive enemy from every where and skirmished by Moslem swords and arrows. A group of them were routed, but the Moslems got them and none of them escaped. Another group took shelter in a hill called Hattin hill. The Moslems confined them and set fire around them. They because very thirsty until they were about to surrender for fear of killing. Then Moslems captured their leaders and the rest were either killed or captured. Among their leaders who were taken as prisoners were king

Jeffery, prince Arnat, king's brother, Ibn Al-Hanfury, son of Tiberias owner, leader of dawia knights, Jubeil`s fried, and leader of Ispitar. The remaining leaders were killed.

The situation was so difficult for the Europeans that one of the Moslems dragged by a rope the tent of over thirty prisoners because of their defeat.

The prince who escaped from the Moslems reached Tripoli and was afflicted by pleurisy and then died, concerning leaders of Ispitar and Dawia, king Al-Nasir preferred their killing, so he killed them.